نابليون بونابرت

هكذا يتكلم القائد





للدراسات والترجمة والنشر

الجمهورية العربية السورية

دمشق

هكذا يتكلم
القائد

هكذا يتكلم
القائد

المقـــدّمة

لم يكن أيّ من كلوزفيتش أو ماكيافل أو ثوسيدايد، رئيس دولة. لا ولا ماوتسي تونغ ولينين أفضل كتّاب عصرهما. كما أن يوليوس قيصر كان مؤرخاً لنفسه، في حين ان الاسكندر لزم الصمت، أما هتلر وموسوليني فما أزعجهما.! وهكذا، تعوزنا الأمثلة المميّزة لمن حقّقوا إنجازات كبرى، ورووها.

أللهم إلا شارل ديغول، ربّما. خصوصاً وأن هذا الجنرال كان قبل ١٩٤٠ بعيداً عن السلطة، وفي الحيّز النظري المحض. أما بعد ١٨ حزيران، والمذياع، واستخدامه له، فقد فرضت عليه الظروف أن يشرح نفسه، بل وأن يُبرّرها، بدلاً من أن يُحلّلها. ومع ذلك، فقد سبق لديغول العسكري، كرئيس مؤسس للجمهورية الخامسة، أن قرأ نابوليون بونابارت وتشرّب أفكاره، أكثر من أيّ شخص آخر.

ولهذا، نرى في نابوليون بونابارت خطاباً استثنائياً، يغتذي من ممارسة السلطة، عن سِيَرِ الرجال وسَيْر الأحداث. وإذا لم يكن أسلوبه التعليمي هو الأمْثَل، فإنّه بلا شك نابع من رجل يُجيد مادّته.

إن جنرال المدفعية في تولون، وقائد الجيش في البيامون أو في مصر، وسياسي فانديمير[1] وبرومير[2]، واليعقوبي أو الترميدوري[3]، وأمير القنصلية مدى الحياة، ومؤسس الأسر المالكة، ثم سيّد اوروبا، ومنفي جزيرة إلبا، وسجين سانت هيلين المخلوع، هو بالدليل الساطع، من أندر التجارب في القيادة وفي الحكم. فلقد أتيح له، بين سطوع نجمه وأفوله، مايكفي من الوقت للتأمّل والتطبيق.

بيد أنه لم يحتكر هذه العِبر، فهو ما أنفكّ يشرح صوابيّة تصرّفاته، رغم أنه، عندما يتناول القلم، لم يكن ليُبدع جديداً: كان يتبع التيار، بوصفه إبن القرن الثامن عشر، المترسّل شأن معاصريه، وتلميذ روسّو – على الأقل في بداياته.

(١) شهر الجمهورية الأوّل

(٢) شهر الجمهورية الثاني

(٣) ترميدور هو شهر الجمهورية الحادي عشر

مع ذلك، ولئن كانت رسائله خلواً من الإبتكار، فقد تعلّم السيّاف، قبل جسر أركول، الممارسة الشخصية - والمنفردة غالباً - في صناعة النصوص، كما أخذ المدفعيّ يستخدم الكتابة احترابياً.

فما إن وصل ايطاليا حتى أصبح المؤلّف شبه الوحيد لبلاغات الجيش، فكان مخترع الدعاية العسكرية والسياسية بالمفهوم العصري للكلمة. وهو إذ يروي التاريخ المباشر، فإنّما يستغلّه لصالحه. لقد أدّى لنفسه خدمة جلّى من دون أن يدري، إذ أصبح بشكل عفوي، الكاتب الأول في عصره.

قبل ولادة اسطورته - أساطيره؛

وقبل أن يتحوّل «العريف الصغير» إلى «غول كورسيكا»؛

الطاغية في نظر البعض، أو رجل العناية الإلهية في نظر الآخرين؛

وقبل أن يكون، على التتالي، مرغوباً ومرفوضاً من قبل اليمين أو اليسار؛

كان نابوليون يبتدع شخصيته، في مسار تحقيق ذاته.

إن الصورة، أو الكاريكاتور، التي رسمها المؤرخون سابقاً عن نابوليون بونابارت، قد فرضت نفسها علينا، ولعلها أنستنا أنه هو، نابوليون، الذي كان يحرك الريشة، أو يُوجّه القلم.

فهو عندما يُصدر الأوامر ، أو يشترع ، أو يروي ، أو يقرر في مجلس الدولة ؛

وعندما يستثير ، أو يُعلن ، أو يتغنّى بالنصر ، من بداياته في حصار تولون ، حتى واترلو ، تحت الخيمة المنصوبة عشية ٦٣٥ موقعة ، و ٨٥ معركة حربية كبرى ؛

وعندما يعترف لكولانكور في مركبته الجليدية العائدة من موسكو ؛ وعندما يبرر نفسه أمام لاس كازس في رطوبة لونغوود ؛

وعندما يحرر نحواً من ٣٠٫٠٠٠ رسالة ، عدا الملاحظات ، والخطب ، والتوجيهات ... :

إنما هو القائد الذي يتكلم .

كذا ، يقول القائد .

والقائد قد يقع في التكرار ، أو في التناقض .

والقائد يتطور : يشك أحياناً ، ويجزم غالباً ، فيصدمك بسخريته ، أو يدهشك بسذاجته . ولكنّه ، أبداً ، يتكلم كقائد ، ولجميع العصور .

وقد نعجب اليوم لجِدَّة هذه الاستشهادات ، حيث أحالتها قيمة استمراريتها ، إلى حِكَمٍ سائرة .

إن حاليّة هذا العجب ، هي منطلق الكتاب الذي تقرأ .

تُرى ، هل يغمزنا نابوليون بونابارت بعينه، من وراء الزمان ، فيغرينا بأن نكتب تحت كل جملة من أقواله ، اسم رجل دولة آخر ، قد يكون المؤلف المحتمل لنفس التعبير ، او البطل الرئيسي لموقف مماثل ؟

قد نهمّ بالقول : هوذا ديغول ، او بيتان ، كليمانصو أو بوانكاريه ، بومبيدو أو ميتران ، مارشيه أو جيسكار ، فوش أو شيراك أو ... ستالين .!

أيكون هذا الكتاب ، عفوياً ، الكتاب المفتاح ؟

إنه لكذلك ، ومن دون ارادة نابوليون .

فالتاريخ ، عندما يصنع أقفالاً متشابهة ، غالباً مايُجبرنا على تجربة المفاتيح العتيقة .

جوليان بيزانسون

المراجـع

اخذت النصوص الواردة في هذا الكتاب بشكل خاص من مؤلفات بقلم

ج . بانفيل

ج . تولار

ج . لوكاس – دي بريتون

رنيه دي فيغي دي ريجي

ج . برتو

ف . ماسون .

بول غينيار

الخ . .

ومن آثار نابوليون بونابارت

الفَصْل الأول

عبقريّة القــائد

القائد يتكلم، ولكن لا ليقول شيئاً بالضرورة، لانه القائد الرائع، والمصير، فالعبقرية توجه كلامه، او صمته. ولابد للقائد من السمو، غير اننا لانرى احياناً سوى الصلافة او السذاجة.
ماهَمّ، فالقائد هو الحل لكل تناقض.

- أحسّ اللانهاية في ذاتي .

- يجب أن نكون أكبر ، رغماً عنا .

- كن قائداً في كل مكان ، في كل شيء .

- النجاح ، هو الذي يصنع كبار الرجال .

- العباقرة شهب كتب عليها ان تحترق لإنارة عصورها .

- العبقرية لاثورْث : منذ كان العالم عالماً ، لم يكن ، في علمي ، أيّ شاعرين ملهَمين ، أو رياضييَن كبيرَين ، أو فاتحَين عظيمَين ، أو عاهلَين عبقرييَن ، أحدهما إبن الآخر .

- على الأمير ان يشك في كل شيء

- الوسيلة لكي يصدِّقك الناس، هي ان تجعل الحقيقة لاتُصدَّق .

- الناس يُقدّرون من يُدهشهم .

- الخيال يحكم العالم .

- تقضي الحكمة والسياسة بتنفيذ ما يأمر به القدر ، وبركوب المسيرة المحتومة التي تقودنا اليها الأحداث .

- لاوقت لدي كالآخرين ، للتلهي بالإحساس او بالندم .

- بالجرأة ، لايمكننا مباشرة كل شيء او إنجازه .

- إن همّي الأول هو العظمة ، فكل عظيم جميل .

- ليست السياسة العليا سوى الحكمة مطبقة على الأمور الكبرى .

- ٩٥٪ من الحكام ، لايؤمنون بالاخلاق ، غير ان مصلحتهم في ان يعتقد الناس انهم يحسنون استعمال سلطاتهم ؛ وهذا مايجعل منهم شرفاء .

- لايتصرف الرجل بفعل طبيعي من خلقه ، بل بدافع عاطفة آنية كتوم ، كامنة وراء شغاف قلبه .

- اعرفُ متى يجب خلع جلد الأسد واتخاذ جلد الثعلب .

- يمكننا التوقّف أثناء الصعود ، لا أثناء الهبوط .

- لامَلِك في الطبيعة ؛ إن هو إلا في الحضارة . وليس هنالك أي عُري ؛ إذ لابد من اللبوس .

- يقال عن رئيس حزب ضعيف ، أثناء اضطرابات بلده ، انه

قائد المتمردين. فإذا مانجح وحقق إنجازات كبيرة ترفعه وبلاده، يسمّونه جنرالاً او مليكاً، الخ. فالنجاح هو الذي يكسبه اللقب. وإن هو فشل، استمرت تسميته قائد المتمردين، وقد ينتهي الى المقصلة، فالنجاح يصنع العظام.

- الملك الكبير هو من يستبق العواقب، في كل حين.

- الناس هم مانريدهم ان يكونوا.

- ليس المتفوق على طريق أحد.

- في الحكم، يجب أن نعرف كيف نضحي من ذاتنا، بل كيف نرضى، عند الحاجة، باغتيالنا!

- لطالما نسبوا اعمالي الكبيرة للحظ، وعزوا اخفاقاتي لأخطائي؛ ولكن لو كتبت حروبي فسوف يدهش الناس ان يروا في كلتا الحالين ابداً، باني لم أمارس تفكيري ومواهبي إلا وفقاً للمبادىء.

- كان لريشيليو الامتياز الفريد بأن يجعل الدولة تفيد من أهوائه كما من مواهبه، ومن عيوبه كما من فضائله.

- المتفوقون يرون من علٍ، إذن فوق الأحزاب.

- ليس للطامحين الثانويين سوى أفكار حقيرة.

- اكثر الرجال، حتى كبارهم، لايتعدّون نصف الإقدام.

- عندما يكون المرء في مستوى حظه، فلن يُفاجأ به ابداً، ومهما بلغت حظوته، تجده ابداً مستعداً لها.

- لقد جئتُ متأخراً يا«دوكري» : لم تبق هنالك من عظائم أقوم بها... نعم، أعترف بأن مسيرتي جميلة، فقد قطعت شوطاً حسناً؛ ولكن ماأكبر الفارق مع العصور القديمة! خذ الإسكندر: فبعد فتحه آسيا، واعلان نفسه امام الشعوب إبناً لجوبيتر، صدّقه كل الشرق، باستثناء اولمبياس الذي كان على بينة من امره، وارسطو وبعض ادعياء

المعرفة في اثينا . اما انا ، فلو اعلنت نفسي ابن الله ، وانني سأنفذ مشيئاته على هذا الأساس ، فلن تبقى امرأة سوقية الا وتصفّر لي عند مروري . لقد استنارت الشعوب كثيراً . ولم تبق هنالك عظائم يمكن تحقيقها .

○ يمكن اتهامي بالتهور ، اما بالبطء ، فلا ، ابداً .

○ أننكر ان الميت لايصبح عدماً؟ وان من لديه ادنى المبررات ، يكون أقوى من ذكراه؟ وعندما يموت اعظم الرجال ، من ادى أجلّ الخدمات لوطنه ، فإن أول شعور ينتابنا هو الإرتياح ، كثقل زال عن كاهلنا ؛ وتتحرك الأطماع . قد نبكيه بعد عام عندما تمزق الاضطرابات البلاد ، ولكننا في البداية لن نتحسر عليه ، ولن تؤخذ مشيئاته الأخيرة بأي اعتبار .

○ ماأشد تأثير الخيال ! أترى هؤلاء الرجال ، البحارة الانكليز من سانت هيلين ، لم يعرفوني قط ولم يروني من قبل ؛ لقد سمعوا عني فقط ، ولكن ماأروع شعورهم نحوي . انهم لا

يدخرون جهداً من أجلي. هذه الغرابة، تتجدد في كل جيل، في كل بلد، في كل عصر.! انه التعصب! نعم، الخيال يحكم العالم!

○ شعوبي في ايطاليا تعرفني جيداً، بحيث لاتنسى ابداً انني ادرك بخنصري اكثر مما تدركه رؤوسهم مجتمعة.

○ رجل الاعمال والسلطة، لايرى للاشخاص وجهاً. انه لا يرى سوى الاشياء، قيمتها ونتائجها.

○ قد تُعطي الاعمالَ انطلاقتها الأولى، بعد ذلك، هي التي تتولى قيادك.

○ في الوسط الضيّق، يكون العظماء رَبَكاً.

○ نادرة جداً هي الشجاعة الفورية التي تُتيح لك، برغم الأحداث المفاجئة، حريّة الفكر، والمحاكمة، والقرار.

○ لايتفوّق الرجل في حياته الا بسيطرته على الخلق الذي حبته به الطبيعة ، او بإبداعه خلقاً آخر ، عن طريق التربية ، يحسن تكييفه وفقاً للعقبات التي يواجه .

○ بين الروح والمنطق ، أبعد مما نعتقد .

○ ألاحظ دوماً ان الشرفاء لايصلحون لشيء .

○ أصعبُ الصعاب ، إتّخاذ القرار .

○ على الفاتحين ان يُلمّوا بسائر الديانات ، وان يتقنوا لغاتها ؛ ان يكونوا مسلمين في مصر ، وكاثوليك في فرنسا ، أي حُماة الأديان .

○ أفضل الأعمال ، ما نحققه بأنفسنا .

○ لا حاجة لقمع او ملاحقة الاعوجاجات غير الضارّة .

- افضل مزايا القادة ، برودة الأعصاب .

- احتقر الجحود ، اقبح عيوب القلب.

- إشارة من قائد محبوب ، خير من أجمل الخطب .

- الرجل الرجل ، لايبغض ابداً ؛ غضبه وسويداؤه لايتعديان الدقيقة .

- تعلم كيف تغفر ، ولاتمضِ في موقفك العدائي الغضوب ؛ اعترف بالضعف الإنساني وتكيّف معه بدلاً من محاربته .

- كل تسامح مع المذنبين نذير بالتواطؤ .

- الرجل المتفوق منيع الأعصاب . سواء هجيته او مدحته ، فإنه يمضي أبداً .

- الإنجازات الكبيرة المتواصلة ليست من صنع الصدفة او

الحظ. انها دوماً نتيجة التدبير والعبقرية. ونادراً ما يخطيء العظماء في أخطر مشاريعهم. هو ذا الاسكندر، وقيصر، وهانيبعل، وغوستاف الكبير، وغيرهم: ينجحون دائماً. هل اصبحوا عظماء بفعل الحظ؟ كلا. بل لأنهم من عظماء الرجال، فقد عرفوا كيف يتحكّمون بالحظ. وعندما ندرس بواعث نجاحاتهم، يدهشنا ان نرى بأنهم سعوا جهدهم لتحقيقها.

○ نولد، ونحيا، ونموت، وسط الوجود الرائع.

○ أعتبر نفسي متضامناً مع جميع أسلافي، من «كلوفيس» الى «لجنة الإنقاذ الوطني».

○ ان كبار قادة التاريخ القديم، ومن سار على خطاهم بجدارة فيما بعد، لم يحققوا الأعمال الكبيرة إلا بفضل التكيّف مع القواعد الطبيعية، أي بسداد التدابير، والتناسب العقلاني للوسائل مع النتائج، وللجهود مع العقبات.

○ من ذا الذي لايرضى بأن يُطعن، شرط أن يكون القيصر؟ إن قبساً ضئيلاً من مجده، يعوضه بسخاء عن موت مبكر.

○ لاتقاس قوة الأمير الصامت، وعندما يتكلم، يجب ان يكون مقتنعاً بتفوقه الساحق.

○ يكون المرء ضعيفاً بسبب كسله او ريبته من نفسه؛ والويل لمن كان ضعيفاً لهذين السببين معاً: فإن كان عاديّاً، أصبح عدماً، وان كان ملكاً، هلك.

○ تعلموا الإصغاء، وثقوا ان للسكوت غالباً نفس تأثير العلم.

○ ذهن القائد الناجح، يجب ان يشبه في صفائه، عدسة المنظار الحربي.

○ يجب ان يكون حلم المِلك مهاباً، لاكطيبة الراهب.

فالملك يأمر ولايلتمس أحداً. ويفترض فيه ان يكون مصدر كل قوة، ولديه من الإمكانات مايكفيه الحاجة الى الآخرين... والأمير الذي يعرف بالطيبة في أول سنيّ حكمه، سرعان ما يسخر منه الناس، فالمحبة التي يوحي بها الملوك، يجب ان تتسم بالرجولة، مع احترام مهاب، وشعور كبير بالتقدير. واذا قيل عن ملك انه رجل طيّب، فهو فاشل.

- الذكاء فوق القوة. فالقوة نفسها ليست شيئاً بدون الذكاء. في أزمان البطولات، كان القائد العسكري هو الأقوى؛ أما في الأزمنة المتحضرة، فالقائد العسكري هو أذكى البواسل.

- أفضل مزايا القائد العسكري، ان يكون رابط الجأش، يتلقى الأمور باتّزان، فلا ينفعل ولا ينبهر ولا ينتشي بالأخبار، جيّدها وسيّئها. ولتندرج أحداث يومه المتلاحقة او الفورية في تنسيق رزين، فلا تتعدى الحجم الذي تستحق.

- رجل الدولة يجب ان يكون قلبه في رأسه .

- من يصدق انه ينسحق تحت الشكليات ، لا بد أنه غريب عن مسيرة العبقرية . فالشكليات وُجدت لمن هم دون المتوسط ، وطبيعي ان هؤلاء لايتحركون الا في دائرة النظام . أما النبوغ ، فينطلق ، أيّاً تكن العقبات من حوله .

- لاتردد في الأزمات الكبرى : فهو غالباً مايقتل ، ولا يُنقذ أبداً . كان في مقدور « شارل الأول » ان يحارب وينتصر . ولكنه تردد ، فضاع . التردد معناه فقدان الرشاد والعبقرية ، تردد قيصر على ضفاف « الروبيكون » ، ولم يكن هو نفسه يومذاك . ان احدى اكبر المزايا العسكرية هي في ان لاتُحجم ، حين يجب أن تُقدم .

- في نظر مؤسسي الامبراطوريات ، ليس الرجال رجالاً بل أدوات .

○ القوة هي مايخنقني، لا الضعف. فالحياة هي التي تقتلني.

الفَصْل الثّاني

السُلطـــة

عنَدما يتكلم القائد، فلكي يشرح آراءه عن السلطة، وعن السلطات: عمّ تراه يتكلم، ان لم يكن عما يجعل منه قائداً؟ وهو عندما يتحدث عن نفسه انما يمارس الحكم.

○ الحكم ، هو أن تخدم .

○ كل مايجري بمعزل عن الشعب غير شرعي .

○ قل لي كيف تُطاع ، أقلْ لك كيف تأمر .

○ من يُصدر أمراً ولايُقدّر عواقبه ، ليس أهلاً للقيادة .

○ لو تفحصّنا المجد لرأينا أنّه لايتعدّى القليل. وسواء حكم علينا الجهّال ، أو مدحنا الحمقى ، أو صفّقت لنا أو نقدتنا الجماهير ، فليس ثمة ما يدعو للإعتزاز .

○ إني أشدّ فخراً بتقليدي جرستينيان ، مني بتفوقي على قيصر .

○ ليس للدولة الدستورية أي حافز ، فما أكثر ما تتعطّل أعمال الحكومة .

○ سَنّ القوانين أسهل من تنفيذها .

○ أُحبّ السلطة ، انا . ولكن كفنان أحبها ، كما يُحب الموسيقي كمانه ، ليخرج منها نغماً وائتلافاً وعذوبة .

○ هنالك سر واحد لقيادة العالم : ان تكون قوياً ، اذ ليس في القوة خطأ أو وهم ؛ انها الواقع العاري .

○ للغاصب أسياد كثر ، فلايمكنه الشروع في أن يكون مطلقاً .

○ حيثما يكون مركز للقوة غير منازع ، يكون هنالك من يحاول استمالته .

○ بين النصر والسقوط خطوة واحدة .

- في السياسة حالات لا مخرج منها إلا بالأخطاء.

- القدر، هو الملك الشرعي الوحيد في الكون.

- على الأمير وعلى الوزير الأول ان يُحبّا المجد؛ يقول البعض ان هذا ليس ضرورياً؛ انهم يفكرون كالثعلب الذي اقتطع ذيله.

- الشجاعة توطد العرش؛ والتخاذل والعار يقوضانه، والأفضل التنازل.

- الخطأ في الأساليب، أكثر منه في المبادئ.

- ما قام أساس إلا بالسيف.

- يجب ان تكون الحكومة برهنة مستمرة.

○ لاتُحكم أُمّةٌ بأنصاف التدابير ، فلا بد من القوة والمثابرة والوحدة في الأعمال العامة .

○ الحكومات المتوازنة لاتصلح إلا في زمن السلم .

○ الحكومة « التحكمية » هي أفضل وأقوى الحكومات عندما يوجهها ملك مستنير حازم . ولكن كلمة « تحكمية » تبدو مرادفة للجور ، مع أنها مشتقة من كلمة « الحَكَم » : أفلا يلجأ المتحمسون للحرية اللامحدودة في معارضتهم دائماً الى التحكيم ؟

○ التردد وفوضى الدوافع ، يورثان فوضى النتائج وضعفها .

○ ليس هنالك استبداد مطلق ، بل نسبي . ولايحق لأحد ان يبرئ الآخر بدون عقاب . واذا ما قام سلطان بقطع الرؤوس وفق نزواته ، فإنه يفقد رأسه بسهولة ، وبنفس الطريقة ، ولابد للإفراط من ان ينقلب الى جانب أو الى آخر ، فما يغزوه المحيط في ناحية ، يخسره في مكان آخر .

○ لابد من الإعتراف: الحقائق الحقة، صعبة المنال من التاريخ. ولحسن الحظ فهي غالباً ما تكون موضوع فضول أكثر منها ذات أهمية جدية. وما أكثر الحقائق!... فحقيقة «فوشي» مثلاً، وغيره من المتآمرين، وحتى حقيقة الكثيرين من الشرفاء، تختلف كثيرا عن حقيقتي في بعض الاحيان. تلك الحقيقة التاريخية التي طالما نندبها والتي نهتم باثارتها، ليست في الغالب سوى كلمة: فهي مستحيلة إبّان الأحداث وفي حرارة تشابك الأهواء. واذا تم الوفاق فيما بعد، فذلك لأن المعنيين والمتنازعين قد زالوا. فما تكون هذه الحقيقة التاريخية في الغالب؟ إنها اسطورة مصطنعة.

○ نفقد شعبيتنا بهفوة، أو إثر انقلاب؛ فمن يعرف فن الملك لا يجازف برصيده إلا مدروساً.

○ لايمكن التغلب على الضرورة الا بالسلطة المطلقة.

○ كلمة الفضيلة السياسية لا معنى لها.

○ السلطات الكبيرة تموت من التخمة .

○ شأن الحكومات العاديّة ، ان تتفهّم مصالح الجميع. اما تدارك تلك المصالح ، فشأن الحكومات الكبرى .

○ ليست السلطة المطلقة بحاجة الى الكذب ، فهي تصمت . أما الحكومة المسؤولة ، المضطرة للكلام ، فإنها تتقنّع وتكذب بوقاحة .

○ نزق الحكومة يفضح ضعفها .

○ القسوة تتدارك من الأخطاء أكثر مما تقمع .

○ العطاء الموزون ، تشريف ؛ والعطاء المفرط ، إفساد .

○ ما يجب تفاديه أكثر من الخطأ ، التناقض مع الذات ، فبالتناقض تفقد السلطة قوّتها .

- الحدث لا يَحكم السياسة : السياسة تتحكم بالأحداث .

- بحسب النظام العام ، يجب ان نحتفظ دوماً لانفسنا بالحق في ان نضحك في صبيحتنا من أفكار العشية .

- الذين غيروا معالم الكون ، لم يفعلوا عن طريق تبديل القادة ، ولكن دائماً عن طريق تحريك الشعوب .

- في سائر الاعمال العامة ، لا بد من القوة والاستمرارية والوحدة .

- ان فقدان القرار في المبادىء ، هو بالنسبة الى الحكومات كالشلل بالنسبة لحركات الاعضاء .

- ليس العرش سوى خشبة زُيّنت بالمخمل .

- لابد للحكم من عرّابين ، وإلا ، فالمسرحية لاتنتهي .

- حكمة الشعوب الحقيقية في التجارب .

- تعرفون أكثر مايعجبني في العالم؟ هو عجز القوة عن التنظيم .

- يجب ان تحكم الجماهير بصرف النظر عن إرضاء هذا أو ذاك . فإذا ماحاولنا إرضاء كل فريق ، وقعنا في التوازن اللامعقول ، وأسأنا الى المجموع ، من لديهم دوماً مفهوم الحق . ان رضا الجماهير هو الذي يضمن سيادة الرأي .

- ثلاثة أرباع الناس ، لايهتمون بالأمور الضرورية إلا عند شعورهم بالحاجة اليها . ولكن عند ذاك ، يكون الوقت قد فات .

- رأيت في أعظم المناسبات ، أن أتفه الاشياء كان وراء الاحداث الكبرى .

- الإنتقام من الشرير ، تعويض على الفضيلة .

- في نظام البلديات بعض الحسنات. ولكن سيئته في كونه غير ملكي. فالافراد معزولون عن السلطة، كان هذا يناسب الغاليين، فلم يزعج قيصر عندما غزاهم.

- كانت ادارتي تحررية، لأنها صارمة وقاسية. اتخذت أدوات في كل مكان، غير آبه للّون، ماداموا يدخلون في نظامي، كان العمل رائعاً، وكنت أبني من جديد.

- الحكومات التي تدعى خطأً بالمتزنة، ليست سوى الطريق الأقصر الى الفوضى.

- الأمراء الذين لديهم معرّفون، هم في تناقض مع الملكية.

الفَصْل الثّالث

في حكم النّاس

القائد يقيّم الرجال، فلقد وجد من اجل هذا. انه يعرف، ويجزم، ويقرر. ولكن عليه ان يكون حذراً.

- الرجال كالأرقام: قيمتهم تتوقف على مواضعهم.

- يجب إنقاذ الشعوب رغماً عنها.

- عندما تكف الشعوب عن الشكوى، تكف عن التفكير.

- بين من لايُحبّون أن يُستبدّ بهم، كثير ممن يُحبّون التحكم.

- أَظهِرْ لأمّتك التي تحكم، مزيداً من التقدير كلما اكتشفت من دلائل عدم استحقاقها له، وسيأتي يوم تتبيّن فيه ان الفرق ضئيل جداً بين شعب وآخر.

○ قُدِ الرجال بلجام اليوم، لا باللجام الذي كان لهم في القديم .

○ الضعف يولد الحرب الاهلية، أما الحزم فيحفظ ازدهار الدول واستقرارها .

○ لم أتولَّ حكم هولندا لاستشارة سكان امستردام، والقيام بما يريده الآخرون .

○ منذ اصبحت رئيساً للحكومة، كانت مشورتي في رأسي. وقد وُفّقت في ذلك. ولم أبدأ في ارتكاب الأخطاء الا بعد ان ادرت أذني للمستشارين .

○ لايعدم الملوك ممن يستدركون الأخطاء، بيد أني لم اسمح بالنقد أبداً. فالمطلوب من الطبيب ان يشفي الحمى لا أن يهجوها .

○ ألديك علاجات؟ هاتها. وإلا، فاسكت .

○ عشرة من المتكلمين، يثيرون الضجيج أكثر من عشرة آلاف صامت. وهذا هو سر نبّاحي المنابر.

○ لن تحصل على العون المنشود من مرؤوسيك الا متى عرفوا انك حديدي الارادة.

○ رشاد الرأي يخلق الأكفاء. واحترام الذات، هو الريح التي تدفع سفنهم الى الشاطئ الأمين.

○ في السياسة، لايشكل اللامعقول عائقاً.

○ ان ترسيخ أي سلطة، هو في صالح من يُطيع.

○ ما الشعبية، وما طيبة القلب؟ من كان أكثر شعبية وطيبة من لويس السادس عشر المسكين؟ ومع ذلك، كيف كان مصيره؟ لقد هلك. وعليه، يجب ان تخدم الشعب بجدارة، من دون ان تلتمس إرضاءه: أفضل وسيلة لكسبه، هي في ان تعمل لخيره. ولكن الخطر يكمن في

تملقه: فاذا هو لم يَنلْ مايريد، غضب واعتقد أنّك خدعته. واذا أنت قاومته، كرهك بقدر ما يعتبر نفسه مخدوعاً. ان تنفيذ مشيئة الشعب، هي بالطبع أولى واجبات الحاكم، إلا أن مايريده الشعب ليس في مايقوله دوماً: يجب ان تكون رغبات الشعب واحتياجاته في قلب الحاكم، أكثر منها في فم الشعب.

- السياسة الحقة، هي في إقناع الناس بأنّهم أحرار. والحكم الصالح، هو الذي يُوفّر لهم سعادتهم.

- ليست الحرية السياسية، بعد التحليل، سوى اسطورة مُصطَلَح عليها، تخيّلتها الحكومات لتخدير المواطنين.

- اللامعقول، أشد وقعاً في الناس من الافكار السليمة.

- من لايحسن استغلال الظروف، أبله.

- القوانين التي تُسَنّ في المناسبات، تلغيها مناسبات جديدة.

○ لكل ظرف نقائصه وفضائله.

○ أفضل وسيلة للبر بالوعد، أن لا تَعِدْ.

○ لا ضرورة للإفصاح عما تنوي عمله وأنت تفعل.

○ يُحكَم الرجال بنقائصهم أكثر من فضائلهم.

○ الشرفاء هم أسوأ الناس في الأزمات السياسية، عندما تنخدع ضمائرهم بأفكار خاطئة.

○ ليست محبة الملوك كحنان المرضعات، بل لابُدّ لهم من المهابة والإحترام. وليست محبة الشعوب سوى التقدير.

○ إذا اكتشف الشعب أننا نتملّقه بدلاً من العمل لخيره، سرعان مايعتقد أنّه السيّد فلا يأبه لحكّامه.

○ الرأي العام قوة خفيّة غير مرئية لا مَرَدّ لها: إنها أكثر تحركاً

وغموضاً وقوة من أي شيءٍ آخر. ومهما يكن الرأي العام متقلّباً، حقيقي ومعقول وعادل أكثر مما نتصوّر.

- بإمكان الشعب أن يفكر حين لايستمع الى الخطباء: فالمحامون لاينقذون شيئاً، بل يخسرون كل شيء.

- الديموقراطية تسمو بالسلطة، ولكن وحدها الارستوقراطية تحفظها.

- نادراً ما تفكر المجالس بعقل، فما أسرع ما تُفتَتَن.

- السلطة المطلقة تقمع الأطماع وتختارها. والديموقراطية تثيرها جميعاً بلا ضابط.

- في نظام السلطة المطلقة، تكفي ارادة فرد للقضاء على التجاوز. أما في نظام المجالس، فيحتاج الأمر الى خمسمائة.

○ إن كبار الخطباء الذين يسيطرون على المجالس بكلامهم البراق، هم دون المتوسط بين رجال السياسة. ولاينبغي ان نحاربهم بالكلام، فلديهم منه ما هو أفعل وأوقع؛ بل يجب مواجهة طلاقة لسانهم بتفكير منطقي حكيم، لأن قوتهم تكمن في الغامض المبهم؛ يجب ان نعيدهم الى واقع الأحداث، فالواقع يقتلهم.

○ للحكم الجماعي افكار أكثر تعقيداً من سواه، كما أنه أبطأ في اتخاذ القرار.

○ في الحكم، علينا ان نراقب الكبار لا الصغار. فإلى أولئك يجب ان تنصرف العناية. واذا أطلقنا العنان للكبار، فسرعان مايغزون السلطان. ولِمَ كل هذا الاهتمام بالغني؟ ولديه كل غُنْم المجتمع، ووضعه المميّز يضمن له المناعة. فالقوة، ومستقبل الحكم، وسلطة العرش، تكـ ن جميعاً في الصغار. أما الأخطار، فمصدرها الكبار. ايها الملوك، إحموا الصغار اذا اردتم بدَورِكم أن يحموكم.

- يجب إقالة من استنفذ المكافئات .

- ان سلطة الشعب هي إحدى خرافات المتفلسفين ، من كسالى الديموقراطيين وعجزة الجمهوريين : لم يجد اليعقوبيون ، بعدما عُرفوا وسقطت أقنعتهم ، اي مظلة تقيهم . أما شرعية الملكية المتوارثة ، فهي موضوع خطير لايمكن مواجهته في أيامنا . ولكن حسناته وسيئآته ، لو أمكن إثارتها ، متساوية البريق .

- ان كل جمعية حكومة داخل الحكومة .

- لاشيء يتحقق في نظام سياسي ، تتلاعب فيه الكلمات والأمور .

- شرعة خلاص الامم غير شرعة الأفراد .

- تضعف الأحزاب بسبب خوفها من ذوي الكفاءات .

○ قد تسخط الديموقراطية ، ولكن لها أحشاء ، يمكن تحريك عواطفها ، أما الارستوقراطية ، فتحتفظ ببرودة أعصابها ، ولاتغفر أبداً .

○ أنا لا أتأثر بالشهرة ، فالخدمات القديمة ليست عندي أكثر من مدرسة تعلّمنا الأفضل. لقد اصبحت في فترة وجيزة حاكماً ذا خبرة . فالصعوبة ليست في اختيار الرجال ، بل في إعطاء من نختار القيمة التي هو بها جدير .

○ في وضعي الراهن (١٨١٤) ، لا أرى النبل إلا في من احتقرت من الرعاع ، والنذالة إلا في من صنعت من النبلاء .

الفَصْل الرّابع

في حكم الدولة

للقائد آراء في كل الأمور. ولا بد لحكم الدولة من المرور بتنظيم المجالس، والمصرف، والجامعة، والمعهد. عين القائد لاتغفل شيئاً.

- لايجوز ان يكون رئيس الدولة ، رئيساً لحزب من الاحزاب .

- ما اكثر القوانين التي لا تجعل أحداً في مأمن من المشنقة .

- عند تأسيس حكم جديد، يجب ألا نتقيد بقوانين كثيرة التفاصيل؛ فالدساتير هي من عمل الزمن. لنترك المجال امام التحسينات .

- ما قيمة الشرعات اذا لم تُطبّق؟ .

- هذه هي الطريق المحتومة للمجالس: تتلاشى لافتقارها الى الوحدة. ولابد لها من قادة ، كما الجيوش. أما الجيوش ، فتَعَيَّن قادتها ، واما المجالس والحكومات ، فيستولي عليها الموهوبون ، ومشاهير العباقرة المتفوقون .

○ لم جمع ا جالس قط بين التعقّل والفاعلية، ولا بين الحكمة والقوة.

○ ما من دستور بقي كما سُنّ، فمسيرته ابداً تخضع للرجال وللظروف، واذا كانت للحكومات القوية سيئات، فذاك احرى بالضعيفة. وفي كل يوم نضطر الى خرق القوانين الإيجابية. لامفر من ذلك، والا وصلنا الى طريق مسدودة.

○ تتحول المجالس الكبرى الى تكتلات، والتكتلات الى أحقاد.

○ لست ارتاح لحكومة تصاغ جميع مراسيمها بلغة الظُّرْف والأدب. فالفن يكمن في أن يصاغ كل مرسوم باسلوب الخبير بطابعه.

○ تفسير القانون يقتله؛ المحامون يقتلون القوانين.

○ يجب ان نتألف الهيئة التشريعية من أشخاص يمكنهم

العيش بوسائلهم الخاصة بعد انتهاء ولايتهم، دونما حاجة الى مراكز. يخرج حالياً في كل سنة ستون متشرعاً لا ندري ما نفعل بهم. فإذا لم يُعطَوا مراكز ذهبوا ينشرون نقمتهم في مناطقهم.

- ان القضاة المتجولين الذين يعقدون محاكماتهم في المناطق، هم أداة أفضل من القضاة المقيمين. هل يمكننا القول ان في فرنسا حكومة، عندما نرى العدالة بين رعاع النراب العامين والمحامين الذين يُسيّرون الرأي العام ويلقون الرعب في قلوب القضاة والشهود..؟

- لاشيً يمنع أخذ المحلفين من جماهير الأمة. فلِمَ هذا الخليط الذي يجمع بين البسطاء والمثقفين، فيزعج هؤلاء؟.

- ألسنا نرى قضاةً، حتى من محكمة التمييز، يتعشّون عند محامين، ويمارسون معهم علاقات اجتماعية تقضي على هيبة القضاء، واستقلاله المعنوي؟ اما القاضي المتجول الذي يصل الى مكان عقد جلساته، فلن يكون من السهل

التأثير عليه وخصوصاً إرهابه؛ سوف يجد في مديرية الشرطة منزلاً يأويه، ويمنع من المبيت في مكان آخر، او تناول العشاء عند أيٍّ كان.

- إن قضاءنا لوحة مرصعات، فهو لا ينبع من مبدأ عام.

- إن كبار موظفي السلك القضائي متفرقون جداً. فأنا لا اعرف رؤساء المحاكم الجنائية في البروفانس او اللانجدوك، كما أنهم لايعرفونني، بحيث ان سلطتي عليهم ضئيلة: أما لو كان لديّ مثلاً ثلاثون قاضياً في باريس، فانني بلا شك سوف أعرفهم وارسلهم الى المناطق، وفقاً لأمزجتهم... وهم أقل تأثراً من القضاة الحاليين المحليين، الذين لا يجرأون على استعمال الشدة في مهامهم.

- يجب أن يكون رؤوساء المحاكم العليا رجالاً بارزين: فجاذبية السلطة الواسعة، والتقدير الكبير، يحولان دون ذلك الكُرْه الفلسفي الذي يبعد ذوي اليسر عن الساحة، تاركاً الحكم للحمقى او للمتآمرين.

- لاوجود للتجارة بدون الثقة . ولاثقة في ظل حكم ضعيف ، أو في بلد تحاك فيه المؤآمرات .

- أود ان تكون هنالك هيئة للتعليم العام ، كمُستَنْبَت للمعلمين ، والعلماء والباحثين ، وأن يعطوا كل حوافز المنافسة . يجب ان نفسح الأمل أمام الشباب المنذور للتعليم ، في الإرتقاء من درجة الى درجة بلوغاً لأعلى مناصب الدولة .

- لابد من تعديل السلطات المنوي إعطاؤها للجامعات على المؤلّفات : إذ لايجوز لها ان تدّعي أيّ سلطة قمعية على المؤلّفات التي تصدر خارج حرمها ، بل تقتصر على الردّ عليها ومنعها من دخول الجامعة ، ومعاقبة الاستاذة الذين يعتمدونها في التدريس . وهذا يكفيها للحيلولة دون تلوث النشء بآلاف الأخطاء والوقوع في الهرطقات العلمية أو الأدبية . فمثلاً سوف لا تُدرّس أبداً آراء برناردان دي سان بيار حول المد والجزر ، التي يفضح نظامها منتهى الغباء المضحك في هذا الحقل ، بل في أبسط قواعد الهندسة ؛

كان يجب طرد المؤلف من المعهد لتطفّله في الكتابة عن أنظمة الطبيعة وعن غيرها من ألوف المواضيع التي يجهلها.

○ منذ متى، ايها السيد، يسمح المعهد لنفسه بأن يتحوّل الى مجلس سياسي؟ فلينظم الشعر او يصحح الأخطاء اللغوية، ولكن ليبقَ في الحقل الفني، وإلا عرفت كيف أعيده إليه.

○ رباه! ما أشد غباء الأدباء! فمن يجيد ترجمة قصيدة، لا يصلح لقيادة حفنة من الرجال. لم يدهشني شيء في حياتي كتصرفات السيد م.... في جنوى. تسلمت الآن منشوراً بتوقيعك عنوانه «عصيان البليزانتان» ولايمكنني الا التعبير عن بالغ استيائي لخلوه من الحكمة، فهو مضحك بقدر ما هو ناب. ولا يحق لك ان تعرض الامور للجماهير، بل لي وحدي. انك موجود في جنوى لكي تدير، لا لكي تكتب. اما «بارم» فتقع في المنطقة العسكرية ٢٨، وعلى ن... ان يذهب اليها ويقمع حرب التمرد، فذاك أجدى من كل هذه الثرثرة الفارغة. انك موهوب في ان تخلق من

التفاهة ما يسر جميع اعدائي في اوروبا إني أمنعك كلياً من طباعة اي شيء ومن إذاعة أي شيء. إنها لمهزلة، وكل قضية دوقية بارم هذه لاتستحق اكثر من نسرية قائد الدرك... اليوم فقط، تحققت من عدم كفاءة رجل، له مع ذلك حظ وافر من المواهب والقلم الرشيق.

○ هذا هو التصنيف الوحيد في نظري للاقتصاد السياسي:

١ – الزراعة، وهي الروح والقاعدة الأولى للامبراطورية.

٢ – الصناعة، وهي الرخاء وسعادة المواطنين.

٣ – التجارة الخارجية، وهي فيض البحبوحة، وحسن استخدام الاثنتين السابقتين.

التجارة الخارجية هي، ببعيد، دون سواها من حيث النتائج، فهي أبداً خاضعة للزراعة والصناعة في نظري، بل وجدت من اجلهما، والعكس ليس صحيحاً. اما مصالح هذه القواعد الثلاث فهي متباعدة، وغالباً ماتكون متناقضة.

○ ان المراهنة في التوظيف المالي على الحكومة، أياً كانت،

افضل منها على صاحب مصرف. فالكارثة الكبرى التي تسبب إفلاس الدولة لاتتكرر الا كل قرنين او ثلاثة، وهذا الإفلاس يجرّ معه دوماً إفلاس الأفراد. اما هؤلاء، فكثيراً مايفلسون... حتى أصحاب المصارف الموثوقة، والشاهد على ذلك السيد ريكامييه الذي لم يدفع لدائنيه سوى ١٠٪، ومع ذلك فهو ينعم بزيارة المعزّين.

○ فن الشرطة في ألّا ترى ما لا ضرورة لرؤيته.

○ المجتمع بلا دِين، كالسفينة بلا بوصلة.

○ التعبّد بالنسبة الى الدين، كالجهاز بالنسبة الى الحكم. العاميّ يُقيّم الأعيان وفقاً لعدد أتباعهم، والناس يُقيّمون قدرة الله من خلال كهنته.

○ الكهنة أفضل من أمثال «كاغليوسترو» و «كانط» وسائر من خدموا ألمانيا.

- افهم ان الناس كانوا يبدون الحذر حيال الكهنة الكاثوليك، لأنهم كانوا مستائين. أما اليوم وقد استمالتهم الحكومة بالحنكة وبالمكاسب، فلا بد من تغيير موقفنا منهم. ان سيرتهم حسنة، ووجودهم كبير الفائدة. فبفضلهم كان التطوع هذا العام افضل بكثير منه في العام الماضي. كما ارتفع المستوى الاخلاقي بتأثير منهم. واليهم يعود الفضل في تثبيت الهدوء والطمأنينة.

- وراثة النبلاء تحرمهم – والبورجوازيين – من المنافسة.

- في أي من الدول، عندما نسيطر على المدن الكبرى او النقاط الرئيسية، يمكننا احتواؤها بسهولة اذا جمعنا تحت قبضتنا المطارنة والقضاة وكبار الملاكين ممن يهمهم حفظ النظام على مسؤوليتهم.

- لا رأي إلا بعد خبرة. ولهذا، أشرت على مستشاريّ بالسفر والتجوال، قبل ان الحقهم بخدمتي. جعلتهم

يجمعون فيضاً من الملاحظات قبل ان استمع الى ملاحظاتهم.

- الافضل للدولة ان تستعين بوزراء من المستوى دون المتوسط يبقون في مراكزهم، بدلاً من تبديلهم تكراراً، حتى ولو استعانت بذوي العقول الراجحة.

- لا تفتش عن كتِيفيّة في ساحة الحرب، حين تكون في غرفة الانتظار.

- ضع محتالاً في الواجهة، يتصرّفْ كالشرفاء.

- يجب استباق حالات يكون فيها مبلغ ٦٠٫٠٠٠ فرنكاً، غير كافٍ لحاكم المصرف. فبالمال، نملك رجال المال.

- لابأس من تناولك العشاء عند اصحاب المصارف. فهم تجار المال. ولكن حذار ان تذهب الى المورّدين، فهم لصوص المال.

- المفتشون هم أهم عمّالي حالياً. فمن خلالهم أرى وألمس الآلة بكاملها. ينقلون اليّ كثيراً من الوقائع والتجارب أنا أحوج ما أكون اليها. يجب إذن أن نجعلهم يتجولون بلا هوادة، وأن نوصيهم بقضاء أسبوعين على الأقل في المدن الكبرى. فالأحكام السليمة ليست إلا وليدة الاختبار المتكرر.

- أريد ملاكين مُسِنّين، مرتبطين بما يشبه الزواج مع الدولة، عبر أُسَرِهم أو مهنتهم، ومَعنيّين بالشأن العام، يأتون باريس في كل سنة، ويتحدثون الى الامبراطور وحاشيته، ويفرحون بهذا النزر من المجد الذي يُنير حياتهم الرتيبة.

- ان خلق نبالة وطنية ليس مناقضاً لمبدأ المساواة، بل هو ضروري للحفاظ على النظام الاجتماعي، الذي لايقوم على القانون الزراعي. ان مبدأ الملكية والإنتقال بعقود البيع، والهبات التي تعطى على قيد الحياة بموجب وصية، هو مبدأ اساسي لايخرق المساواة. ومنه ينشأ اصطلاح انتقال ذكرى الخدمات المقدمة الى الدولة، أباً عن جد.

الفَصْل الخَامِس

الثـــــورة

عندما يتكلم القائد، لايمكنه تجاهل الثورة في خطابه. ولكن، الا يجدر به ان يبيّن خير الثورة وشرّها، وأن يُقنع الناس، في المناسبات التي تبدو وكأنّها تتخطاه، بأنه هو الذي يُسيّرها ؟

- أنا الثورة .

- لابد لكل شعب محتل من ثورة

- كان بين اليعاقبة أناس طيّبون . لقد مرت فترة جمعت على ذلك كل من كان في نفسه بعض الرفعة . كنت انا بنفسي ، كما الألوف من الأخيار .

- ان دماء الضحايا لاتُنبت الجذور ، بل تقتلها . فالرعب هو الذي قتل الجمهورية .

- لايمكن إيقاف الشعوب متى انطلقت .

- لقد ردمت هوّة الفوضى ، ونظّمت الركام ، وطهّرت الثورة ، ووطدت الملوك ، وشرفت الشعوب .

○ لست أخشى البحث عن الامثلة والقواعد في الازمان الغابرة . فمع احتفاظي بكل ماأنجزته الثورة من جديد مفيد، لا أتخلّى عن المؤسسات التي أخطأت في تدميرها .

○ الشعب هو هو اينما كان . فإن عاملته بالحسنى ، رضي بالتبعية . ولكن اذا رأى احتقاره عبر أسمال بؤسه ، قلق وتمرد بوقاحة ، وسحقت أطماعه الملوك الضعيفة .

○ الجرائم الجماعية لاتلزم أحداً .

○ ليس في الثورات إلا أحد اثنين : واحد يقوم بها ، وآخر يفيد منها .

○ ثورة الملكيين والهجرة ، مرضان جلديان . اما الارهاب فمرض داخلي .

○ هنالك ثورات لامفر منها . انها ثورة الاخلاق ، كما تثور

البراكين. فعندما تكتمل التفاعلات الكيميائية التي تسبّبها، تنفجر. وكذلك الثورات عندما تكتمل التفاعلات الاخلاقية. ولكي نتداركها، يجب مراقبة الأفكار.

- سوف تصبح الحرب مفارقة تاريخية. واذا نحن قاتلنا اوروبا، فذاك لوجود مجتمعين: مجتمع ١٧٨٩، والنظام القديم، لايمكن ان يتعايشا. فافترس الفتيُّ الآخرَ. اعرف جيداً ان الحرب اسقطتني آخر الأمر، انا، ممثل الثورة الفرنسية، واداة مبادئها. ولكن ما هَمّ! إنها معركة خسرتها الحضارة؛ ولكن صدقوني أن الحضارة سوف تثأر. فهنالك نظامان: الماضي والمستقبل. والحاضر ليس سوى مرحلة انتقالية شاقة. من ينتصر؟ المستقبل. اليس كذلك؟ حسناً، المستقبل هو الذكاء، والصناعة، والسلام. اما الماضي، فكان القوة الوحشية، والامتيازات، والجهل. كلٌّ من انتصاراتنا كان نجاحاً لأفكار الثورة. وستتحقق الانتصارات يوماً، بلا مدافع وبلا حراب.

- من الجدير بالملاحظة، عدد القادة الكبار الذين انبثقوا

فجأة من الثورة : « بيشاغرو »، « كليبير »، « ماسينا »، « مارسو »، « دسي »، « هوش »، الخ .. وجميعهم تقريباً من جندي بسيط. ولكن هنا ايضاً، يبدو أن الطبيعة قد استنفذت جهودها، فهي لم تنتج بعد ذلك شيئاً، أعني بمثل هذه القوة. ويعود الفضل لاتاحة اسهام ثلاثين مليون فرنسي، وللطبيعة حقوق. في حين اننا فيما بعد، دخلنا ضمن الحدود الضيقة للنظام والمجتمع.

○ عندما يقتسم السلطة الملك، والكبار، والشعب، ولاتكون سلطة أحدهم مطلقة، تتوالى الثورات. ورُبّ قائل يذكر لي بريطانيا والولايات المتحدة؛ فتلك جمهوريات عصرية، سينتهي بها الأمر كسواها، الى ان يكون لها سيّد.

○ الثورات، رغم فظائعها هي وراء تجدد الأخلاق العامة.

○ الثورة حلقة مفرغة: تنطلق من الافراط لتعود إليه.

- تقوم الثورة عندما لايتطلب تنفيذها إلا إزالة شخص واحد.

- ان ثقتي في جميع طبقات شعب باريس لاحدود لها. فاذا كنت غائباً، واذا التمست ملاذاً، وجدته في قلب باريس. لقد اطلعت على خفايا كل الكوارث التي حلت بها خلال السنوات العشر الاخيرة. واعلن امام الامم والأجيال القادمة، إنصافاً لشعب هذه المدينة، ان عدد المواطنين الأشرار كان ضئيلاً جداً. فمن بين أربعمائة، تأكد لي أن أكثر من الثلثين كانوا غرباء عنها. ولم يبق على قيد الحياة بعد الثورة سوى ستين او ثمانين منهم.

- ان حروب الثورة شرّفت الأمة الفرنسية بأجمعها.

- الثورة رأيّ وجد حراباً.

- قاعدة عامة: لاثورة بدون إرهاب.

الفصل السادس

الحرب

من الطبيعي ان يتكلم القائد عن الحرب، بيد ان خوضها حتى النصر، يتطلب من الكفاءات ماليس لسواه. فالحرب، أكثر من أي شيء آخر، تخلق القائد وتبرزه.

- الحرب هي الحالة الطبيعية .

- الحرب قضية فِطنة .

- ليس النصر هو المهم ، بل الافادة منه .

- الخيال ، هو الذي يخسر الحروب .

- يجب ان نحسب حساب الهزيمة كيلا يذهلنا النصر .

- الحرب كالحب . فلكي نضع حداً لها ، يجب ان ننظر الى أنفسنا عن قرب .

- المعتدون مذنبون في السماء ، محقون على الأرض .

- في الحرب ، لابد من افكار بسيطة ودقيقة .

- ننعم بأنفسنا إبان الخطر .

- أكبر الأخطار يكمن في ساعة النصر .

- الاقدام في الحرب أروع حسابات العبقرية .

- لا قوّة بدون البراعة .

- في الحرب لايُنال شيء إلا بحساب : فكل مالم يدرس بعمق في تفاصيله ، لايعطي أي نتيجة .

- يتلخص فن الحرب رغم كون الجيش ضعيفاً ، في تركيز قوة أكبر من قوة عدوك على نقطة الهجوم أو الدفاع . غير ان هذا الفن لايُكتسب من الكتب او من الممارسة .

- عندما تندلع الحرب ، يصبح وجود هيئة المستشارين محرجاً

بقدر ما هو خطير. واذا كان الملك متقلباً، يستولي الخوف على الجبناء ويجعل منهم، دون وعي، أدوات ومواطنين لكل جَسور. كما ان الجزع والرغبة في تفادي الخطر يقلقان النفوس، فيتعطل العقل، وتسيطر الأحاسيس والانفعالات، وينبري المشاغبون والطامحون والمتعطشون الى الظهور والشهرة والسيطرة، متطوعين للدفاع عن الشعب وإسداء النصح للحاكم. انهم يريدون معرفة كل شيء، وحل كل الأمور، وتوجيهها. فإذا لم تلقَ نصائحهم آذاناً صاغية، انقلبوا من مستشارين الى مراقبين معارضين، ومن معارضين الى متمردين. وعندها، إما أن يتحمّل الحاكم نيرَهم، أو أن يطردهم. وفي كلتا الحالين، غالباً مايُعرّض العرش والدولة للخطر.

- في الحرب، أكتُبْ دائماً بشكل لايثير القلق. فالذّعر يُضعف المعنويات ويشل الشجاعة.

- كل ما تقوله لي عن استعداداتك قد يكون حسناً لو أنك حسبتها بحيث واجهت العدو خلال نصف ساعة من بدء

الهجوم عليه. ومع ان في رسالتك الكثير من البراعات الانشائية، فهي لاتنفع في الحرب، بل الدقة والحزم والبساطة.

- التلمّس والاعتدال يخسران الحرب.

- ان نشر الجنود وبعثرتهم لايجدي.

- النجاح في الحرب يتوقف على النظرة الثاقبة، ومع أني ربحت معركة اوسترليتز بسرعة صاعقة، فقد كنت لأخسرها لو أنني هاجمت قبل الموعد بست ساعات.

- إضاعة الوقت في الحرب لاتعوض. ومايُتذرّع به من مبررات لاقيمة له. فالعمليات لا تفشل الا بسبب التأخير.

- في الحرب، يجب الإتكاء على العائق لِتَخَطّيه.

- من تمرس في الحروب دهراً، يمكنه تصور الطابع التهديدي

للموقع الذي تم احتلاله بقوة الهجوم. ومن قام بهجمات عديدة يعرف أن أقل حدث أو مؤشّر، يشجّع او يثبط، ويقرر عملية أو أخرى.

- يتساءل بعض العسكريين عن جدوى المواقع المحصنة، والمعسكرات المحمية، ومهارة المهندس. ونحن نسألهم بدورنا: كيف يمكن المناورة بقوات قليلة او متساوية، من غير اللجوء الى المواقع والتحصينات وسائر الوسائل الفنية الإضافية.

- صحيح ان الحرب تمنح الملوك الذين يخوضونها، فرصاً جدية للتفكير والتأمل قبل المجازفة. في هذه اللعبة الرهيبة، لابد ان تكون الاحتمالات متساوية.

- اذا لم تنطلق من مبدأ إحجام العدو عن مهاجمة المواقع غير ذات الاهمية، وإذا قمت على حراسة كل نقطة، فلن تصل الى نتيجة.

○ القادة الذين يحتفظون بقوات جديدة لما بعد المعركة، غالباً مايخسرون. يجب ان نقدّم، عند اللزوم، حتى آخر جندي، ذلك لأن في صبيحة النصر لاتبقى هناك عقبات. فالرأي العام، وحده. يكفل للغالب انتصارات جديدة.

○ يجب الا نترك للعدو أي فرصة يفيد منها، حتى الرأي. فالجندي يهوله ان يرى اسلحة العدو، وخصوصاً البعيدة منها، أبعد مرمى من سلاحه.

○ ان اسرى الحرب لايخدمون الدولة التي حاربوا من أجلها. فهم جميعاً في حماية شرف وشهامة الدولة التي جردتهم من سلاحهم.

○ هنالك لحظات أثناء القتال حيث ادنى مناورة، تقرر وتمنح التفوق، إنها القطرة التي تُفيض الطِّفاح.

○ لاترتيب طبيعياً للمعركة. فكل مايوصى به في هذا المجال، ضرره أكثر من نفعه.

○ ما الحرب إلا مجموعة من الأحداث الطارئة. فمع انه يفترض في القائد التقيّد بالمباديء العامة، عليه الا يُغفل ما قد يفيده من هذه الأحداث. اما العامي الساذج، فيسمي ذلك صدفة سعيدة، ولكنه في الواقع ملك للعبقرية.

○ في الحرب، تصلح النظريات لاعطاء أفكار عامة. ولكن التقيد الحرفي بهذه القواعد محفوف بالمخاطر: فالمحاور انما تستخدم لرسم الخطوط البيانية.

○ يجب ألا نفصل شيئاً عن الجيش عشية الهجوم. فقد يتغيّر كل شيء بين لحظة واخرى. وقد تقرر كتيبة واحدة مصير اليوم.

○ هنالك حكمة عربية مجربة: لا تدع العدو يستدرجك الى

ما يريد. وهكذا يجب ان نتفادى ميدان الحرب الذي درسه واختبره، وبالأخص المواقع التي حصّنها واحتمى فيها. انطلاقاً من هذا المبدأ، يجب ألا نهاجم اي موقع مواجهة، ما دام يمكن أخذه بالإلتفاف.

○ في المعركة كما في الحصار، تكمن المهارة في تركيز اكبر قدر من النيران على نقطة واحدة: فعند المواجهة، من كانت له البراعة في صب نيران مدفعيته على احدى نقاط العدو بغتة، يكتب له النصر.

○ الحرب لعبة جِدّية، يُعَرّض فيها المرء سمعته وجيوشه وبلاده. وعلى العاقل أن يدرك إن كان خُلق لمثل هذه المهنة ام لا.

○ ايها السادة اعضاء مجلس الدولة، الحرب ليست مهنة ورود. فأنتم لاتعرفونها هنا على مقاعدكم إلا من خلال قراءة البيانات أو وصف انتصاراتنا. انكم لاتعرفون مخيماتنا، ولا مسيراتنا الشاقة، ولا ضروب الحرمان والعذاب الذي

نقاسي. أما أنا، فأعرفها جميعاً، لأني اراها، وأحياناً اقاسمها.

- لا يجيد المرء إلا ما فعل. الشجاعة والموهبة الطبيعية، لا يوازيان الشجاعة والموهبة المدعومتين بالذكريات والمقارنات.

- مخططان اثنان للمعارك: الفاشل والناجح. ولكن غالباً ماتفشل المخططات الناجحة بسبب ظروف غير متوقعة، تجعل النجاح من نصيب المخططات الفاشلة.

- ان جميع الحملات البحرية التي جُرّدت منذ أصبحت على رأس الحكومة، قد فشلت، لأن الاميرالية ذوي نظرة مزدوجة. لقد اكتشفوا – ولست ادري اين! – بان الحروب يمكن أن تخاض بدون اي مجازفة.

- عند بدء الحملة، يجب التفكير ملياً قبل الإقدام. ولكن بعد انطلاق الهجوم، يجب المضي فيه حتى النهاية. فمهما

تكن براعة الإنسحاب، فانها تضعف معنويات الجيش، مادمنا نخسر فرص النصر، لنضعها بيد العدو، فضلًا عن ان التراجع يكبّد من الرجال والمعدات اكثر من اشد الهجمات ضراوة، مع هذا الفارق ان العدو يخسر في المعركة بمقدار مانخسر تقريباً، بينما في التقهقر، نخسر نحن وحدنا .

○ من لا يرى بالعين الثاقبة ساحة المعركة، يخسر الكثير من الرجال بغير طائل.

○ ان مجد السلاح وشرفه اهم الواجبات التي يجب ان يضعها القائد نصب عينيه: فسلامة الرجال وبقاؤهم أمر ثانوي. ولكن سلامة الجنود وبقاءهم رهن أيضاً بإقدام القائد وثباته .

○ الويل للقائد الذي يأتي ساحة المعركة مع نظام مسبق !

- يجب ألا يسمح قائد الجيش لغالب او لمغلوب بالاستراحة.

- في الحرب، وحده القائد يدرك اهمية بعض الأمور. وبإمكانه وحده، بفضل ارادته والهامه، ان ينتصر ويذلل الصعاب.

- لاشيء أهم من وحدة القيادة في الحرب. فعندما نخوضها ضد دولة واحدة، يجب ان يكون جيشنا واحداً، يعمل على خط واحد، ويقوده قائد واحد.

- في الحرب كما في السياسة، الفرصة الضائعة لاتعود.

- تعرفون ان مبدأي الإنطلاق بكثافه. وبكثافة سأعبر « السال » مع ٣٠٠،٠٠٠ رجل.

- في الحرب نرى آلامنا ولانرى آلام العدو. لابد من الثقة.

○ لاتنقصنا الجنود، بل طريقة جمعهم والانطلاق بقوة. فالسرعةفي الحرب هي نصف النجاح.

○ كانت مبادئ قيصر، مبادئ هنيبعل نفسها: الابقاء على قواته مجمّعة منيعة من كل جانب، والانتقال سريعاً الى المواقع الهامة، والاعتماد على المعنويات، وعلى شهرة سلاحه والرهبة التي توحي بها، وكذلك على السياسة للاحتفاظ بوفاء حلفائه وطاعة الشعوب التي أخضعها.

○ ان كثرة الجدل والمناقشات، والتباري في البراعات الخطابية، وعقد الجلسات، تؤدي الى ماسبق ان حدث في جميع العصور عند اتباع مثل هذه السياسة: تبني أسوأ الحلول الذي هو في الحرب اكثرها جبناً، واقل احتراساً ان اردت. اما الحكمة الحقة بالنسبة الى القائد العسكري، فهي في التصميم العزوم.

○ ليست ادارة الشؤون العسكرية سوى نصف مهام القائد.

فمن اهم الأهداف إقامة وتأمين المواصلات. أمّنوا مواصلاتكم بسرعة.

○ تكمن حنكة قائد الطليعة او المؤخّرة في احتواء العدو، وتأخيره وإبطآء سيره، فلا يقطع فرسخاً الا كل ثلاث ساعات أو أربع. والتكتيك (فن الإحتراب) وحده يضمن هذه النتائج الكبيرة. وهو أحوج للخيالة منه الى المشاة، وللمقدمة والمؤخرة منه لأي قسم آخر.

○ في الحرب، تشير الكوارث الكبرى دائماً الى مذنب كبير.

○ يجب ان يتساءل قائد الجيش كل يوم: ماذا لو فوجئت بجيش العدو امامي، عن يميني، عن يساري؟ ماذا أفعل؟ فاذا وجد نفسه مرتبكاً، فهو في وضع سيّئ الاستعداد، وعليه تلافي ذلك.

○ يجب ان يتمتع رجل الحرب بالحزم والعقل. اما ذوي العقول الذين ينقصهم الحزم، فهم اقل الناس صلاحية

للمهمة ، كالسفينة ذات شراع كبير لايتناسب مع حجمها ووزنها . والأفضل ان يزيد الحزم عن العقل، لان القاعدة يجب ان تتناسب مع الارتفاع . اما الذين نعموا بحظ وافر من الاثنين معاً ، فهم : قيصر ، وهنيبعل ، وتورين ، والامير أوجين ، وفريدريك .

- أعدل الحروب ، هي التي لا مفر منها .

- لايستطيع الملك تفادي الحرب ساعة يشاء . فاذا ما أجبر عليها ، فليسرع في امتشاق السيف ليهاجم فوراً ، والا كانت المبادرة في صالح المعتدي .

- لقد أجمع فلاسفة العصر ، وحكماء المنابر ، والجمهوريون المزعومون ، على إدانة الفاتحين . ومع ذلك ، فبالفتح اعيدت وتُعاد الحرية للامم .

- من ينقذ وطنه لايخرق اي قانون .

○ الأمة التي تفتقر الى المِلاكات والى مبدأ التنظيم العسكري يصعب عليها ان تنشئ جيشاً.

○ النظام يربط الجنود بالعلم. والثناء اثناء المعركة لايجعل منهم شجعاناً، فبالكاد يصغي اليه الجنود القدامى كما ان الشباب منهم ينسونه عند اول طلقة مدفع. اما جدوى الثناء والتفكير، فخلال الحملة، لقطع دابر التلميحات المغرضة، والإشاعات المزيفة، وللحفاظ على الروح المعنوية العالية في المعسكر، وتوفير مادة للحديث في المخيمات.

○ من لايقيم وزناً لاحتياجات الجندي، يجب ان لايتولى القيادة.

○ الجيش الذي لايتجدد مصيره الاستسلام.

○ لاشيء يناقض القواعد العسكرية مثل كشف قوة الجيش. سواء في الأوامر اليومية، أو في الخطب، أو في المجلات؛ وعندما نضطر للكلام عن قواتنا، يجب المبالغة بها

للإرهاب، بان نضاعف عددها مرتين او ثلاث. وعلى العكس، عندما نتكلم عن قوات العدو، يجب التقليل منها الى النصف او الثلث: ففي الحرب كل شيء مباح.

- أوصوا الجنود بالحفاظ على البلاد، فبتدميرها نحرم أنفسنا من الموارد.

- هنالك حالات يكون فيها الإنفاق في الرجال اقتصاداً في الدماء.

- العلوم العسكرية هي حساب الثقل في نقاط معينة.

- الإنتقال من الوضع الدفاعي الى الوضع الهجومي، هو أدقّ العمليات الحربية.

- يكمن سرْ المعارك الكبرى في القدرة على الإنتشار والتركيز في الوقت المناسب.

- ثلاثة أرباع الحرب ، تكمن في المعنويات . وما توازن القوى إلا الربع الرابع .

- يجب أن تكون هذه الحرب هي الأخيرة .

الفصل السّابع

الجيش

وهل يكون القائد قائداً إلا على رأس
الجيش، حيث يمارس كل عبقريته على
افواجه المثالية .
انه يرى الجيش في كل الناس، وفي
المدنيين خصوصاً .

○ من يمثل الشعب أكثر من الجيش ؟

○ قيمة الجيش في رأسه .

○ لاغنى عن القائد . فهو الرأس ، وهو كل الجيش . لم يخضع الغال جيش الرومان ، بل قيصر . وليس جيش قرطاجنة هو الذي أرعب جيش الجمهورية على أبواب روما ، بل هنيبعل .

○ القائد العسكري دجال بالضرورة .

○ قائد واحد سيء أفضل من قائدين صالحين .

○ ليس الجندي الذي يقاتل أفضل من الجندي الذي يسير .

○ لايكون المرء شجاعاً إلاّ بالنسبة الى الآخرين.

○ الشجاعة كالحب: تغتذي بالأمل.

○ الجندي هو أكثر الناس تحسساً بالجميل.

○ الشجاعة مزيّة فطرية لاتكتسب، لانها في الدم. وهي تصدر عن العقل: إنها فروغ صبر الخطر في معظم الأحيان.

○ الشجاعة لاتزيف نفسها: فهي فضيلة لاينالها الرياء.

○ أريد لقواتي ان تكون متحركة أساسا، فتنتقل فجأة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب، وفقاً لمتطلبات سياستي.

○ هنالك طريقة واحدة شريفة يقع فيها الجندي أسيراً: أن

يباغت معزولاً فلايتمكن من استعمال السلاح:
عند ذاك، لا شروط، بل مواجهة للواقع.

- عندما تكون احدى المدن في حالة حصار، يصبح العسكري كالقاضي، وعليه ان يتصرف باعتدال وحشمة وفقاً للظروف.

- إن عدد الجنود ليس مهماً. فما لم يؤمن الضباط والرتباء بمهماتهم، لاخير يرجى منهم.

- الحرمان والشدة مُعلّما الجندي الحقيقيين.

- ان التمرس في أكثر الأحداث عنفاً، اقل استنزافاً للقلب من المجردات: فالعسكريون أفضل من المحامين.

- لاشيء كالنجاح يزيد عدد الفوج.

- يجب ألاّ نولي المعلومات التي نحصل عليها من الأسرى،

فوق ما تستحق من الإهتمام. فالجندي لايرى أبعد من سرّيته، والضابط يكاد لا يعرف أكثر من وضع او تحركات الفرقة التي ينتمي إليها فوجه. وهكذا يجب ألاّ يعتمد القائد في تبرير تخميناته عن أوضاع العدو، إلا بمقدار انطباقها على تقارير مقدمة الرتل.

- يجب تفادي الأوامر المعاكسة. فما لم يجد فيها الجندي فائدة كبرى، فانها تثبط همته وتفقده الثقة.

- يحتاج كل من القائد البحري والقائد البري الى مزايا مختلفة. فمزايا قيادة الجيوش البرية تولد مع الإنسان، في حين ان الأخرى لاتكتسب إلا بالتجارب.

- أعذب ما في مكتبتي من كتب الادب، تقارير أوضاع الجيوش، فهي ما أقرأ بشغف في أوقات فراغي.

- كلما كان جيش المشاة فعالاً، كلما وجب دعمه ببطاريات مدفعية قوية.

○ الكلمات هي كل شيء . لقد أمرت بتجنيد فيلق من الدلماسيين . ويمكنهم التأكيد بانه مُعدّ للدفاع عن البلاد ، فهذا يطمئن المواطنين .

○ يجب ان يكون الجيش مستعداً أبداً لبذل أقصى ما يستطيع من المقاومة .

○ أولى مزايا الجندي ، ثباته في تحمل المشاق . اما قيمته ، ففي المقام الثاني .

○ عندما يصبح التطوع في الجيش شرفاً يتمناه الجميع ، لا سخرة مرهقة ، عندها فقط تكون الأمة كبيرة ، ومجيدة ، وقوية . وعندها ، يمكن ان يتحدى وجودها المحن ، والغزوات ، والقرون ...

○ لابد في النظام العسكري من القواعد الصارمة ، لحماية الجيش من الهزائم ، والمذابح ، وخصوصاً من العار : يجب

ان ننظر الى العار على أنه أهول من الموت. فاستعادة الرجال أسهل على الأمة من استعادة الشرف.

- يجب أن يبلغ وزير الداخلية سائر الصحفيين بوجوب الإمتناع عن نشر اي معلومات عن جيوش البر والبحر.

- في الحرب، تمنع إقامة أي قائد في اي منزل. وتخصص خيمة واحدة للقائد العام، بسبب أوراقه.

- لست أفهم كيف أدخل الجنرال « روسكا » بولنديين وفارّين أجانب في الطوابير الفرنسية. أوصوه بألا يدخل بعد اليوم ايّ فارّ في جيوشي، بل ان يجعل منهم، على العكس، كتائب صغيرة.

- بإمكانك تعيين الجنرال (...) في أركانك: فهو قليل الإلمام بالمناورات العسكرية، ولم يَخُض الحرب إلاّ لِماماً...

○ السلب يدمر كل شيء حتى الجيش الذي يقوم به. فالمزارعون يهربون، وتلك سيئة مزدوجة: تجعل منهم أعداء ألِدّاء لايمكن استرضاؤهم، كما انهم يُغذّون صفوف العدو كلما دمّرناها. وفي ذلك حرماننا من كافة المعلومات الضرورية للحرب، ومن الوسائل الحياتية. والمزارعون الذين يأتون السوق، تبعدهم عنها القوات التي توقفهم وتنهب محاصيلهم وتضربهم.

○ استطيع اختراق اوروبا بحرسي الكامل، مابين ٤٠ و ٥٠ ألف رجل. وقد يكون بالإمكان تشكيل ما يوازي جيشي الإيطالي أو جيش اوسترليتز، أما أفضل منهما، فقطعاً لا.

○ إيّاكم ان يَسرق القادة العسكريون. فإن هم تعسّفوا، أو أغضبوا السكان او سلبوهم، فجّروا ثورة المقاطعات. يجب الضرب بيد من حديد. والإقالة بإذلال، وإحالة أوّل سارق الى لجنة عسكرية، كما يجب تعيين قيّم إداري في كل مقاطعة، لان القادة العسكريين ليسوا مؤهلين للادارة.

○ ان حماسة البروفنسيين، هذا الشعب الكريم، تشمل كل شيء من المال، الى السرور، الى المجد. ورغم ذلك، نرى بين الغاسكونيين الظرفاء عدداً من الضباط المتفوقين اكبر منه بين البروفنسيين ذوي الحميّة.

○ لعل أكبر مساويً نظامنا، أننا لانرى الجيش إلا في وقت السلم، في حين يجب ان نراه اثناء الحرب.

○ طبيعي ان تكون خبرتك في الحرب أقلّ من خبرة من مارسها طوال ستة عشر عاماً. ولا ألومك على الأخطاء التي ارتكبتها، بل لأنك لم تكتب إليّ، ولم تُتحْ لي فرصة توجيه النصح إليك أو حتى تنظيم عملياتي هنا. ولو كنت مُلّماً بالتاريخ، لعرفت أن المجون لايُجدي، وان أكبر الهزائم في التاريخ سببها الإصغاء لثرثرات الجيوش.

○ إن أفضل مديح في نظري هو القيام بما يوحي بشعور البطولة للأمة، والشباب، والجيش.

○ عندما يُذلّ الجندي ويداس شرفه بالسوط ، فإنه لايعود يأبه للمجد ، أو لشرف بلاده .

الفَصْل الثّامِن

السّلام والدبلوماسيّة

في حديث القائد عن الحرب، يتحدث كذلك عن السلام، ويستخدم نفس القوى، ونفس الاحترامات. ولكن يبدو ان القائد الحق يخشى هذه اكثر من تلك.

○ حذار من تحقيق السلام بدون ضمانات، لأن الكرم يخدع السياسة.

○ لاينال السلام بمجرد المناداة عليه، فهو زواج بين الإرادات.

○ السلام أولى الضرورات وأول الأمجاد.

○ لاتخاض الحروب إلا بالشدة والقرار الحازم. وكذلك السلام.

○ هنالك مساومة وحيدة للسلام: السلام على الطبول.

○ أنا لا أكيّف سياستي بحسب إشاعات باريس، ويؤسفني ضعفك المستمر بحيث تعلق عليها كل هذه الأهمية.

القضية اليوم أكثر تعقيداً من أن يُدركها بورجوازي . ستعلم ان السلام ، مهما نجحت في جعله لصالحنا ، سوف ينتقده أكثر الذين ألحّوا في طلبه ، ذلك لأنهم حمقى جاحدون ، لايدركون فحواه . ومن المضحك أنهم يتغنون بالسلام دائماً ، كما لو كان يعني شيئاً : الشروط هي كل شيء .

○ في موضوع المعاهدات ، يجب ان يستغل السفير كل شاردة وواردة لخير بلاده .

○ في ظروف الحرب الكبرى ، فرصة واحدة للسلام .

○ لاننال السلام بمجرد ان نصرخ « سلام » . لم أشأ ذكر هذا في بيان ، ومن باب أولى لايجوز اعلانه للملأ . فالسلام كلمة فارغة ، والذي نريده سلام مُشرّف .

○ عندما نحدث الرأي العام دوماً عن السلام ، فإننا نسيء

توجيهه. إن بدء المفاوضات ليس الغاية، ولاأذلّ الشعوب إلا عندما نخدعها.

- المبدأ العام في كل مفاوضات لتجميد الأسلحة، هو ان يبقى كل فريق على موقفه. والخطوط الفاصلة بينهما، تصبح التطبيق العملي لهذا المبدأ.

- الهدنة واقع، ولكن حذار من الاطمئنان اليها عندما نكون في عاصمة الأعداء.

- لقد انتهى النظام الاستعماري: يجب ان نكتفي منه بحرية الملاحة والتبادل الدولي.

نصيحة للدبلوماسيين: تجنبوا دوماً في احاديثكم كل ما يحرج، ولاتفقدوا أيّ تصرّف، ولاتلاحظوا مايثير السخرية. فلكل شعب تقاليده. وعلة الفرنسيين هي أنهم يقارنون كل شيء بما الفوا، ويجعلون من انفسهم مثالاً. وهذا سوء تصرّف يحول دون نجاحكم ويُكرّه اي مجتمع بكم.

○ كان من الضروري ان تُحبّنا الأسرة المالكة في النمسا، لا أن تكتفي بالعيش الرغيد، بل أن تنعم وتسهم في نجاحاتنا. أعرف جيداً مايعني هذا في السياسة.

○ يجب ان يكون السلام ثمرة نظام مدروس، مبني على المصالح الحقيقية لمختلف البلدان ومُشرّفاً للجميع، لا أن يكون استسلاماً او نتيجة للتهديد.

○ المؤتمر خرافة مصطلحة بين الدبلوماسيين. انه قلم ماكيافيل مع سيف محمد.

○ الأعمال التي لاتنتهي هي التي لاصعوبات فيها.

○ الدبلوماسية هي الشرطة في اللباس الرسمي.

○ أعضاء السلك الدبلوماسي جواسيس يصعب إرضاؤهم. فهم يكتبون المزيد من الحماقات كلما أحسنّا معاملتهم. أُدْعُ الى استقبال جمع كبير من الدبلوماسيين كل شهر،

ولا تقابلهم في غير هذه المناسبة، لأن البعد عنهم أفضل.

○ السفير لن يقول عنك خيراً، فمهنته أن يقول شراً!

○ أهم مايشغل قلبي الصلح مع ملك السويد. ولئن كانت الأهواء تفرقنا، فان مصالح الشعوب التي تنظم سلوك الملوك، يجب ان تُقرّبنا. والسويد لايمكنها ان تفكر بأن مصلحتها في انتصاري لاتقل عن مصلحة فرنسا. وسوف تشعر أكثر من فرنسا بصدمة تزايد القوة الروسية... وفي أي حال، فالسويد لايمكن ان تخشى شيئاً من فرنسا، بل من روسيا.

○ ما اكثر تذمري من «العلاقات الخارجية»، ولكن ذلك لايؤدي إلا الى نتائج مؤقتة. لأن إدارتك يعوزها الحزم والمتابعة، فهنالك الكثير من السكرتارية والمفوضيات الخرقاء.

○ لقد احتفظت حكومة بروسيا، طوال عشرين عاماً بامتياز

كونها مستعدة للصلح مع أعدائها، وللحرب مع أصدقائها، ولعقد وفسخ المعاهدات، وللسير بين مفاوضتين، بحيث تكون هي الأقوى في كل الحالات.

- من المخجل لوزارة الخارجية أن أجهل تماماً قوى النمسا، وأن لايكون لدي أي مُذكّرة عن أوضاعها المالية... سفارتي في فيينا لم تُزوّدني بأي معلومات. ومع أن لوزارة الخارجية صندوق خاص للمصاريف السرية، وان مهنتها الإطلاع على جيوش الدول الأخرى وتسليحها، إلا إنها خرساء.

- سيقال إنني لم اكن راغباً في السلام لأني لم أحقّقه... أما السلام الذي أرفض، فهو ما يُمليه عليّ أعدائي. أتراهم مسالمين أكثر مني؟ ألا يرفضون بدورهم السلام الذي أعرض؟ إن مايُسمّيه أعدائي السلام العام هو دماري، في حين ان سلامي هو تجريدهم من السلاح لاأكثر. الست أشدّ اعتدالاً منهم؟ ان اتهامي بالنزعة الحربية هراء. فسوف ينصفنا الرأي العام عاجلاً ام آجلاً. وسوف يتبينوا ان مصلحتي في السلام كانت أكثر من مصلحة سواي.

وأنني كنت ادرك ذلك . واذا انا لم احقق السلام ، فواضح بأني لم أوفّق . يجب الا يُحكم على رفضي لأولى مبادراتهم . افلا يعرفون ان اي دولة تدخل في مفاوضات ، تطلب أول الأمر كل ماتتمنى تحقيقه ؟ إنه أمر طبيعي . ولكن تتم الصفقة آخر الأمر ، فإما ان يكسب المنتصر ، وإما ان يقاوم المنهزم ، وإما ان يتفق الطرفان . اعترف : لقد اعتقدت ان وضعنا أثناء الهدنة كان ملائماً للصلح ، إذ كنا نتأرجح بين النصر والهزيمة ، وكان من الممكن إنجاز صفقة ضخمة بين الشمال والجنوب .

○ إن مفاتيح اي موقع حربي توازي بقيمتها حرية الحامية عندما تعقد العزم على عدم إخلائه إلا وهي حرة . وهكذا ، فمن الأفضل السماح باستسلام مشرف للحامية التي تبدي دفاعاً مستميتاً ، بدلا من المجازفة بالهجوم .

○ إن خرق المعاهدات العسكرية تخلّ عن كل حضارة .

○ اريد استئناف البعثات التبشيرية في الخارج. فوجود رجال الدين مفيد لنا في آسيا وافريقيا واميركا. سأرسلهم ليأتوني بأخبار البلاد. ان لباسهم يحميهم، ويغطي غاياتهم السياسية والتجارية. اما رئيسهم، فلن يكون في روما. بل في باريس. والإكليروس راض عن هذا التغيير. سأخصص لهم دخلاً أوليّاً بقيمة ١٥ ألف فرنك. ندرك تماماً فائدة البعثات العازارية الخارجية، كعملاء سريين للدبلوماسية في الصين واليابان وسائر آسيا، حتى ان منهم في افريقيا وفي سوريا. إنهم لايُكلّفون كثيراً، وتحترمهم الشعوب البدائية. وبما ان ليس لهم اي صفة رسمية، فهم لا يُلزمون الحكومة، ولايعرضونها للإذلال أو الإهانة، كما ان حماسهم الديني، يدفعهم للقيام بأعمال ولمواجهة مخاطر فوق مايستطيعه العميل المدني.

○ الحزم في الإدارة أحوج منه في الحرب.

الفصل التاسع

أوروبا

للقائد هدف كبير يتخطى حدود دولته ، لعله اوروبا . من يستطيع مخالفة القائد في ذلك ؟

○ ليست أوروبا اكثر من جنوة جحر الخلد. ولم تقم امبراطوريات كبرى الا في الشرق، حيث ستمائة مليون نسمة.

○ إن حدود [نهر] الراين مرسوم إلهي، كجبال الألب والبرانس.

○ مع حليف صادق، تصبح فرنسا سيدة العالم.

○ تحتاج فرنسا الى موارد طائلة، إذ عليها ان تكون قوة بحرية وقوة برية في آن واحد. وهي موضع حسد اوروبا منذ هنري الرابع.

○ كانت « أنفرس » ابداً كالمسدس المحشو والمسدد إلى قلب إنكلترا.

- ان إنكلترا هي اليوم سيدة البحار بلا منازع وصاحبة أكبر إمبراطورية. ولكن لِمَ تتشبث مع الأوضاع الجديدة، بسيرتها التقليدية؟ ولِمَ لا تخلق صِيَغاً أكثر جدوى؟ عليها ان تتصور شكلا من تحرر مستعمراتها، مادامت غالبية هذه المستعمرات سوف تفلت من يدها. وعليها ان تنتهز الفرصة للإفادة من علاقات جديدة وروابط اكثر جدوى. لِمَ لاتلتمس من هذه المستعمرات ان تشتري تحررها لقاء نصيب من الدين العام الذي يصبح ملكاً لها؟ فتخفف الدولة الأم من أعبائها، مع الاحتفاظ بامتيازاتها. اما الروابط فتتأمن بالثقة في المعاهدات، والمصالح المشتركة، وتشابه اللغة، وقوة الإستمرار، مع الاحتفاظ، كضمانة، بموقع واحد حصين، وبمرسى لسفنها. شأن وكالات أفريقيا.

- لم تعد هنالك اي حقوق للناس في اوروبا، بل اقتتال فيما بينهم كالكلاب. !

- لقد سيطرت انكلترا وفرنسا على مصير الأرض، وخصوصاً

الحضارة الاوروبية. فما أكثر ما أسأنا الى أنفسنا!
وما أكثر الخير الذي أضعنا!
لقد ازعجنا الدنيا بسياسة «بيت»، فماذا كانت النتيجة؟ فرضت إنكلترا على فرنسا ١٫٥٠٠ مليوناً، فجباها الكوزاك. أما أنا، فقد فرضت عليها سبعة مليارات، وجعلتها تجبيها بنفسها، بيدي برلمانها. واليوم، وحتى بعد الانتصار، هل تراها في مأمن من الوقوع، عاجلاً أم آجلاً، تحت نفس العبء؟
أما في ظل سياسة «فوكس»، فكان من الممكن ان نتفاهم، إذن لكنّا حقّقنا تحرير الشعوب، وسيادة المبادئ، ولَما كان في اوروبا سوى اسطول واحد، وجيش واحد، ولَكنّا حكمنا العالم، فوطدّنا الأمن والازدهار في كل مكان، سواء بالقوة ام بالإقناع.
أجلْ. ما أكثر ما أسأنا الى أنفسنا! وما أكثر الخير الذي أضعنا!

○ في الدبلوماسية، يجب اعتماد التحفّظ والرويّة، والتقيّد بالتعليمات،لأنه يستحيل على عميل منعزل ان يُقدّر أثر

عملياته على الجهاز العام. فاوروبا تشكل منظومة واحدة، وكل ما يجري في نقطة، ينعكس على النقاط الأخرى، ولهذا لابد من التنسيق.

○ لأوروبا تاريخها، المأسوي غالباً، والمعزّي أحياناً. أما القول بأن لها حقاً مكتسباً ومعترفاً به في العالم، وبأن هذا الحق جزء من تاريخها، فذاك استغلال لسذاجة الرأي العام.
ان قانون الدولة الأول، في كل زمان، هو أمنها، وضمان أمنها قوتها، وحدود قوّتها حدود ذكائها. فإذا ما نادت الدول الكبرى بمبدأ آخر، فذاك لغاياتها الخاصة التي لا ينعم الصغار بحسناتها. لقد زالت بولندا والبندقية من الوجود، ولم تجد الممالك المتفرجة في هذا الجناز السياسي إلا خسارتها هي . فكلما جرى تقاسم الأسلاب، او نالت تعويضات في مكان آخر، همدت أطماعها. فهي تطلب التعويضات باسم العدالة – ولكنها في الواقع باسم القوة.
تلك هي حقيقة القانون الاوروبي المزعوم، وما يسميه عصريّونا نظام التوازن. كلمة مضحكة، أضافت حروباً

جديدة الى الحروب التي أثارتها الاطماع الصرف . انها نظرية خادعة ، تقدم الذرائع للجور ، ولا تنقذ الضعيف الا عندما يعجز الكبار عن الاتفاق ضده . من هذه القاعدة الكبرى ، يظهر أمران لا يَقِلاّن عنها حقيقة في التاريخ : الأول ، ان تمنح كل دولة لنفسها حق الاستيلاء على المصالح الاجنبية ، عندما يهدد المساس بها مصالح تلك الدولة . والثاني ان الآخرين لايُقِرّون لها بحق التدخّل ، إلا بمقدار قدرتها عليه .

○ ان كل تاريخكم ايها السويسريون ، يختصر في الآتي : إنكم تجمّع ديموقراطيات صغيرة ، وعدد مماثل من المدن الامبراطورية الحرة ، تكونت تحت تأثير أخطار مشتركة ، وشدد من تماسكها تعاظم النفوذ الفرنسي ... فمنذ الثورة وانتم تتشبثون بالتفتيش عن خلاصكم خارج فرنسا . ولكنّه هنا : يؤكد ذلك تاريخكم ، وموقعكم ، والمنطق . إنها مصلحة الدفاع ، التي تربط فرنسا بسويسرا . إنها مصلحة الهجوم الذي قد يجعل سويسرا مفيدة في نظر الدول الأخرى . اما الأولى ، فهي مصلحة ثابتة ودائمة . وأما الثانية

فمرحلية، وتتوقف على الأهواء... ولاتستطيع سويسرا الدفاع عن سهولها الا بمساعدة فرنسا... وفرنسا معرضة للهجوم عبر حدودها السويسرية. اما النمسا، فلاتخشى مثل هذا الخطر... فأنا أفضّل التضحية بمائة ألف رجل، ولا أتحمّل بقاءها بين يدي قادة العصيان الأخير، نظراً لأهمية سويسرا بالنسبة الى فرنسا

- أردت ان يكون لقب «فرنسي» أجمل وأحبّ ما في الارض، وأن يشعر كل فرنسي وهو يتجول في أوروبا انه في دياره.

- تعقد بروسيا المعاهدات، ولكنّها لاتتقيّد بها الا في الكلام. فلِم يُوقّع من لا طاقة له على الدفع ؟ فمن يُوقّع، ملتزم بالدّفع.

- تعرفون مقدار حب البروسيين للمادة، فاكسبوهم ببعض المال، تحصلوا على أسرارهم وخططهم. اعطوهم مائة قطعة

نقدية، فبهذا المفتاح الذهبي تفتحون جميع الإضبارات وتقضون على جميع الهواجس.

- لايقوم النمساويون بأي عمل إلا ببطء وتثاقل.

- لم أكن اعتقد ان النمساويين على هذا القدر من التصميم، وقد أخطأت في حياتي إلى حد لم أعد معه أخجل من ذلك.

- لا دليل لديّ حتى الساعة، عن نية النمسا في خوض الحرب. إلا ان النظام العسكري يفرض مواجهة القوة بالقوة، كما تقضي السياسة السليمة بأخذ الحيطة والاستعداد، عند أول بادرة تهديد من قبل اي قوة.

- لا أتردد في القول بأن اغتيالي لو تمّ في شوانبرون، كان أقلّ شؤماً على فرنسا من اتحادي مع النمسا.

- ان سياسة حكومة النمسا ثابتة لاتتغير. وقد تجمد سيرها

التحالفات والرباطات الزوجية، ولكنها لن تحوّله أبداً. فهي لن تتخلى عما تضطر الى التنازل عنه. ومادامت هي الأضعف، فالسلام الذي تحتمي به ماهو إلا هدنة مؤقتة، توقعها وهي تفكر بحرب جديدة... وبكلمة، فالنمسا لاتنسى شيئاً.

○ إن كل مايكتب هو للعموم. ولست ادري أيّ الموظفين لدى وزير الحربية، يُطلع أحزاب باريس على أمور يفترض ان تبقى في الوزارة.

○ لقد لجأت اميركا الى السلاح، لفرض سيادة عَلَمِها، وتمنيات العالم تواكب كفاحها المجيد. فاذا توصلت إلى إجبار أعداء القارة على الإعتراف بمبدأ شمول العَلَم للبضائع والطاقم، وان المحايدين لايخضعون لحصار مُقرّر، وفقاً لنصوص معاهدة أوترخت، فإن اميركا تحظى بتقدير جميع الشعوب. وسوف تقول الأجيال القادمة أن العالم القديم أضاع حقوقه، وان الجديد استعادها.

الفصل العاشر

الفرنسيون

لايتخلى القائد عن نظرته السامية حيال فرنسا والفرنسيين. وهل يكون القائد، ان لم يعتمد على امة وعلى افراد من النخبة ؟ ومع ذلك، فمجرد كونه القائد، يفرض عليه القسوة وبعد النظر.

○ ان أجمل اسم يحمله إنسان على وجه الأرض، كونه فرنسياً. فهو لقب من السماء، لايحق لمخلوق إلغاؤه. اريد ان يبقى كل فرنسي، حتى وهو في جيله العاشر من الاغتراب، فرنسياً اذا رغب في ذلك، وأن يكون صوته أقوى من القانون، وأن تسقط الحواجز أمامه، وأن يعود إلى وطنه الأم، ويدخله دخول الفاتحين.

○ لم تغلب الأمة الفرنسية قط وهي متحدة.

○ ستبقى فرنسا ابداً الأمة الكبرى.

○ لتكن فرنسا عزيزة على أبنائها، منصفة حيال الأجانب، ورهيبة حيال أعدائها.

- يكفي أن تكون عادلا مع الفرنسيين، ولكن يجب ان تكون قاسياً مع الأجانب.

- حتى في أدنى دركات فسادنا، فإن انحطاط الفرنسيين لم يتعدّ حدوداً مُعيّنة.

- أحب الحكمة العامة التي تسير في الشوارع.

- لكم تمنيت ان يمحو الفنانون الفرنسيون أمجاد اثينا وايطاليا.

- أريد ان اجعل من فرنسا أول بلد زراعي في العالم.

- تعج فرنسا بذوي الكفاءات العملية العالية. ويكمن السر في ايجادهم وإعطائهم وسائل النجاح. فمن فلاّح جدير بأن يكون في مجلس الدولة، ومن وزير خليق بأن يكون فلاحاً.

- في فرنسا مركزية مفرطة. أفضّل ان تكون أقلّ في باريس، وأكثر في المقاطعات.

- بدون اسطول بحري، تبقى فرنسا عرضة لشتى أنواع الإهانات.

- يجب أن يكون الموظّف الفرنسي قدوة يغبطه الناس في كل مكان، ولكن لا ان يشفقوا عليه، أبداً.

- يجب ان تسمح رواتب الموظفين لهم بتمثيل يتناسب مع أهمية مراكزهم. وعلى الفرنسيين أن يكونوا دوماً في الوضع الذي يتلاءم مع ممثلي الأمة الأولى في العالم.

- يجب أن تقوم فرنسا بانجازات كبرى، سيجري إعدادها. اريد ان اؤسس وأعِدّ لمن يخلفوني، موارد تحل محل الإمكانات الاستثنائية التي عرفت كيف أخلقها.

- لماذا لانجد فكراً عاماً في فرنسا ؟ ذلك لأن على المالك أن

يغازل الإدارة، وإلا فقد يكون خرابه، لأن أحكام الإدعاءات اعتباطية. لهذا السبب، لانجد لدى أي أمة تبعية رِقّ حيال الحكومة كما في فرنسا، لأن الملكية تخضع لها.

○ أفضّل ان يحرم السفراء الفرنسيون من اي امتيازات في الخارج، وأن يجري توقيفهم إذا لم يدفعوا ديونهم أو إذا تآمروا، فذاك أهون من منح السفراء الأجانب امتيازات في فرنسا، تمكّنهم من التآمر بسهولة خصوصاً وان النظام جمهوري. ان الشعب الباريسي ثرثار، ويجب ألا نبالغ في احترام السفراء أمامه، لأنه يعتبر كل سفير يوازي قيمة عشرة أشخاص. لذلك من الأفضل ان نغفل ذكرهم، لأن الامة الفرنسية شديدة الاعتبار للأجانب.

○ ان فرنسا هي البلاد التي يتمتع القادة فيها بأقلّ قدر من النفوذ؛ فالإعتماد عليهم، كالبناء على الرمال، ولاتتحقق الأعمال الكبيرة إلا بالاعتماد على الجماهير. فعلى كل حكومة ان تبحث عن قاعدتها حيث هي.

○ الأمة الفرنسية سهلة القيادة عندما لايكون الحكم متناقضاً . فلا شيء يوازي سرعة وسهولة تفهّمها ، إذ تتبيّن في الحال من يعمل لصالحها ومن يعمل ضدّها . ولابد من مراعاة أحاسيسها ، وإلا فان فكرها القلق يتأكلها ، فتنفعل وتهتاج .

○ لدى الشعب الفرنسي نوعان من الشغف متساويان ، وهما نابعان من شعور واحد ، مع أنهما يوحيان بشيء من التناقض : حب المساواة ، وحب التمييز . ولايمكن لأي حكومة أن ترضي هاتين النزعتين ، إلا بالعدالة المتناهية . يجب ان يكون القانون وتنفيذه واحداً حيال الجميع ، وأن يُخصّ بالتقدير والمكافأة من هم أكثر جدارة في نظر المجموع .

○ لخفّتنا وعدم تناسقنا جذور عميقة ، فنحن غاليّون أبداً . ولن نصبح جديرين بقيمتنا إلا عندما نستبدل الفوضى بالمبادىء ، والغرور بالكبر ، وحب المراكز بحب المؤسسات .

○ لوّح للفرنسيين بالخطر، تنلْ منهم ماتريد، لكأنه يمنحهم الرشاد والعقل.

○ من طبع الفرنسي إذا لم يكن راضياً، أن يبالغ ويتذّمر ويُشوّه.

○ تتميّز أمتنا باليقظة في أيام الإزدهار.

○ إن حرمان المضطهدين من حق اللجوء مناقض للمبادىء الفرنسية.

○ كل الأنظمة تجد من يؤيدها في فرنسا.

○ قد تكون الأمة الفرنسية هي الوحيدة التي تتوحد جميع طبقات مجتمعها حول احترام الشرف.

○ يتذمر الفرنسيون من كل شيء، ودائماً.

○ التسكع هو الميزة الوطنية للفرنسي منذ الغاليين .

○ تندفع قواتنا الى الأمام بشغف : فحروب الفتح تستهويها . أما وضع الدفاع الساكن ، فغريب عن العبقرية الفرنسية .

○ الخزي هو أشد العقوبات في الجيش الفرنسي .

○ لو أنكم اوصيتم الفرنسيين بالحذر ، لكانت خسارتنا في ثورة مدريد أقلّ بعشرين رجلاً . فهم من بين جميع الأمم احوج الى هذا الشعور .

○ عيبنا الوطني المضحك أننا ألدّ أعداء نجاحنا ومجدنا .

○ البسالة وحب المجد ، ميل فطري عند الفرنسيين ، ونوع من الحاسة السادسة .

○ لايجهل الشعب الفرنسي أنه موضع حسد هائل ، وان مؤامرات التفرقة سوف تحاك ضده باستمرار ، في الداخل

والخارج . ولهذا ، يجب ان يتخذ دائماً الموقف الذي فرضه الاثينيون على مينرفا : الخوذة في رأسه ، والحربة في يده .

○ لقد بيّنت لفرنسا قدراتها . فلتنفذ .

○ الفرنسيون ناقضون ومعارضون ومشاغبون ولكنهم غير متآمرين ، ومن باب أولى ، غير دساسين . ولايمكن القول أن خفتهم العفوية ، وصداقاتهم الفورية ، أمر معيب . فهم كالأجوليّ [دوارة الهواء] في مهب الرياح ، ولكن هذه النقيصة عفوية ، وذاك عذرهم الأفضل .

○ يوم أقتنع بأن أمة تعيش بدون الخبز ، أُصدّق ان الفرنسيين يمكنهم الحياة بدون مجد .

○ لدى الطبقة الأولى عند الإنكليز كبرياء . أما عندنا ، فلسوء الحظ ، ليس لديها سوى الغرور .

○ تعرفون مزاج الفرنسيين : متقلب بعض الشيء . . .

○ إعلموا أنه أثناء القتال، وهول الأخطار، في البحار والصحاري، لم يغب عن فكري رأي باريس، تلك العاصمة الاوروبية الكبرى، إلى جانب رأي الأجيال القادمة الذي يستحوذ على قلبي.

○ ان سكان باريس مجموعة من الثرثارين، تضفي مصداقية على أكثر الشائعات المضحكة: ألم يُلفّقوا خبر اختباء الأمراء في مقر سفير النمسا؟ كما لو كنت اخشى الذهاب لاقتيادهم من ذلك الملجأ! وهل نحن في أثينا حيث لايمكن ملاحقة المجرمين في هيكل مينرفا؟ ألَمْ يتمّ توقيف المركيز دي بدمار في داره من قِبل مجلس شيوخ البندقية؟ أولم يكن شنقه محتوماً لولا الخوف من سطوة اسبانيا؟ وهل احترمت فيينا حقوق الناس حيال سفيرنا برنادوت، عندما اهين العلم الوطني فوق مقره، من قِبل الجمهور الهّائج؟ ...

○ إن صالونات باريس رهيبة بنزواتها، ذلك لأن معظمها – ولنعترف بذلك – منعم بالمُلَحِ والطلاوة. إنهم

يهاجمون بعنف، ومن النادر ان يسلم المرء من ألسنتهم اللاذعة.

○ في فرنسا، لايُعجب الناس إلا بالمستحيل !

الفهرس

الصفحـة

- أيكون التاريخ قد نسي أن «العريف الصغير» الذي ولد في عصر فولتير وروسو،

كان أيضًا من رجال القلم ...؟

- تشهد على هذه الحقيقة ألوف الرسائل والتوجيهات والملاحظات والخطب. من حصار طولون إلى صخرة سانت هيلين، ومن أركول إلى واترلو.

وسواء كانت هذه المقتطفات الخمسون والأربعمائة وصفية أو رؤوية فهي كغمزة عين من وراء الزمان، سحرت حكام هذا العالم، ودفعتهم إلى التأمل بحيث لا تفوتهم الإفادة من نصائح أشهر الفرنسيين طرًا.

